

الحلقة (٣)

عنوان الحلقة / مناهج المفسرين

عناصر الحلقة:

١. تعريف التفسير بالمأثور
٢. الاختلاف في التفسير بالمأثور
٣. الإسرائيليات والموقف منها
٤. حكم التفسير بالمأثور
٥. تعريف التفسير بالرأي
٦. أنواع التفسير بالرأي
٧. حكم التفسير بالرأي
٨. تخرج السلف عن الكلام في التفسير

❖ تعريف التفسير بالمأثور

يعرف العلماء التفسير بالمأثور بأنه: الذي يعتمد على صحيح المنقول من كتاب الله عز وجل وهذا لا يقال فيه صحيح أو ضعيف فهو منقول إلينا بالتواتر ولكن الصحيح المنقول عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم أو ما روى عن الصحابة أو عن التابعين هذا هو التفسير بالمأثور لاشك أن أفضل الطرق وأحسن ما يفسر به كلام الله عز وجل هو كلامه تبارك وتعالى ثم بعد ذلك سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم ما روي عن الصحابة ثم ما روي عن التابعين ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن أحسن طرق تفسير القرآن أن يفسر القرآن بالقرآن فإذا أعيتنا الآية من كتاب الله عز وجل ذهبنا إلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإن لم نجد في السنة شيئاً ذهبنا إلى الصحابة رضي الله عنهم فإن لم نجد ذهبنا إلى أقوال التابعين رحمهم الله تعالى"

❖ الاختلاف في التفسير بالمأثور

هل هناك خلاف بين الصحابة أو التابعين في التفسير بالمأثور؟

الجواب: نعم يوجد اختلاف بين الصحابة في بعض المفردات كما ذكرت مثلاً في الحلقة السابقة في قول الله تعالى { **أَوْ لَا مَسْئُومٌ** النَّسَاءُ } منهم من فسر اللمس هنا هو مس المرأة فعليه ينتقض الوضوء ومنهم من فسر على إنه الجماع وعليه فإن مس المرأة لا ينقض الوضوء ففي هذا خلاف عن ابن عباس وعن ابن مسعود رضي الله عنهم، لكن كما ذكر العلماء أن الاختلاف بين الصحابة في التفسير قليل جداً، وقد كثر بين التابعين بعدهم، ولكنه أيضاً يعتبر قليل وبين الصحابة أقل من

ذلك، وهذا الخلاف لا يعدوا أن يكون أحد أمرين وهو يعتبر اختلاف النوع وليس اختلاف التضاد إلا قليلاً، ولكن اختلاف النوع هذا لا يخلو من **أحد أمرين:**

- إما أن يكون من "تفسير العام ببعض أفرادها على طريق التمثيل"
- أو أنه يكون "باختلاف التعبير مع اتحاد المعنى" ويوضح هذا الكلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فيقول "إن غالب ما يصح عن الصحابة - رضي الله عنهم - من الخلاف يرجع إلى اختلاف النوع لا اختلاف التضاد" كما قلت التضاد قد يأتي ولكنه قليل والتنوع أيضاً قليل وهو

نوعان

○ **الأول** أن يعبر واحد منهما عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه والمعنى واحد، كتفسيرهم { **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** } منهم من قال هو القرآن ومنهم من قال هو الإسلام وروي عنهم غير ذلك وكلها معناها واحد فهل هناك صراط مستقيم بدون إسلام أو قرآن فكلها واحد كل منهم عبر عن المعنى ببعض مفرداته.

○ **الثاني** أن يذكر كلاً منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل مثل قوله تعالى { **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ** } الله جل وعلا ذكر ثلاثة أصناف ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات لو نظرنا في تفاسير الصحابة أو التابعين لهذه الكلمات الثلاث نجد منهم من حملها على مسائل الصلاة فقال السابق هو الذي يصلي في أول الوقت **المقتصد** هو الذي يصلي في أثناء الوقت **الظالم** لنفسه هو الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار، هذا مثلاً حملوها على الصلاة وضربوا لنا الأمثلة، منهم من حملها على مسائل الزكاة **والصدقات** وضربوا لها الأمثلة فقالوا السابق هو المحسن بالصدقة مع الزكاة يعني يدفع الزكاة ويعطي معها صدقة، **المقتصد** هو الذي يؤدي الزكاة فقط، أما **الظالم** لنفسه فهو الذي يمنع الزكاة، فنلاحظ في هذه الآية بمفرداتها الثلاث كل واحد عبر عن المعنى بمثل أولئك مثلوا بالصلاة وأولئك مثلوا بالزكاة ويعتبر هذا من اختلاف النوع وليس اختلاف التضاد،

❖ **الإسرائيليات والموقف منها**

المقصود بالإسرائيليات هو ما روي عن أهل الكتاب، والإسرائيليات كثرت في زمن التابعين كما أنها وجد شيء منها عند الصحابة ما بن عباس وابن عمر ولكنه قليل جداً ولكنه كثر فيمن بعدهم، الرواية من أهل الكتاب ممن أسلموا كعبد الله بن سلام ووهب بن منبه وكعب الأحماس هؤلاء نقل عنهم كثيراً من الإسرائيليات ودخلت في كتب التفسير والموقف الصحيح منها كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

أولاً: أن هذا المروي في الغالب لا فائدة منه، مثل تحديد نوع الكلب الذي كان مع أهل الكهف ما نوعه و ما لونه ؟ كم طوله وكم عرضه؟ فهذه أشياء لا نستفيد منها، ومثل الشجرة التي كلم الله

سبحانه وتعالى عندها موسى ما نوعها وما حجمها فنحن لا نستفيد منها، وغالب المروي عن أهل الكتاب لا فائدة لنا فيه وليس لنا فيه حاجة لكن على كل حال الموقف معه ثلاثة الأول إن كان عندهم ما يخالف ما عندنا فهذا مردود ومرفوض وللأسف أنه يروى عنهم شيئاً من ذلك سيئاً وقبيحاً خاصة في مقام الرسل عليهم السلام، مثل ما رووا عن داود عليه السلام كلام في تفسير تسع وتسعين أنه كان متزوج تسع وتسعين وأراد أن يكمل بإمرأة موجودة عند أحد جنوده وهويها ورغب فيها وهذا بلا شك ينزه عنه داود عليه السلام.

الثاني: أن يوافق ما عندهم ما عندنا فنحن نقبله لا لأنه جاء بحق أو بشيء جديد، ولكن لأنه وافق ما عندنا فنحن عندنا الصواب وعندنا الحق ولكن هو وافقنا فنحن نقبله لأنه وافق ما عندنا، الثالث إذا كان لا يوافق ولا يرد فهذا فنحن نسكت عنه وكما قال صلى الله عليه وسلم لا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله.

❖ حكم التفسير بالمأثور

التفسير بالمأثور يجب اتباعه ويجب الأخذ به فهو عصمة عن الزيغ والزلل وعن الانحراف في كلام الله تعالى وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: **"التفسير على أربعة أوجه"**:

(١) وجه تعرفه العرب من كلامها وهو الذي يرجع إليهم في بيان اللغة وإيضاح المعنى (٢) وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وهذا المقصود التفسير الواضح، الكلام الواضح في كلام الله تبارك وتعالى كقوله تعالى {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} فهذه الآية لا تحتاج إلى شرح وإيضاح فالكل يجب أن يعرف ويعتقد أن لا معبود بحق إلا الله والعلم بها أمر مطلوب قبل أن يعرف الإنسان التفسير ويدخل فيه يجب أن يعرف أن لا إله إلا الله التي هي عصمته ونجاته ويسأل الله سبحانه وتعالى أن يتوفاه على هذه الكلمة العظيمة كلمة التوحيد.

(٣) قال وتفسير يعلمه العلماء، أي لا يعلمه إلا العلماء وهؤلاء هم الذين لا بد أن يجتهدوا وأن يبينوا وأن يوضحوا للناس ما أشكل عليهم وأن يعتمدوا على أدوات المفسر التي ذكرها العلماء، (٤) تفسير لا يعلمه إلا الله والمقصود تفسير الأمور المغيبة وتدخل في الإيمان بالغيب التي هي من أعظم صفات المؤمنين،

❖ تعريف التفسير بالرأي وبيان أنواعه

التفسير بالرأي هو ما يعتمد فيه المفسر في بيان المعنى على فهمه الخاص وهذا الكلام مجمل ولهذا قال العلماء: **"التفسير بالرأي على نوعين"**:

■ **الأول** أن يعرض صاحبه عن كلام الله وعن المروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن المروي عن الصحابة رضي الله عنهم وكذلك التابعين رحمهم الله ويستقل بآراء خاطئة ومذاهب سيئة وهذا الحقيقة غالب ما يروى عن هؤلاء هو أنهم انحرفوا بالتفسير إلى معتقداتهم السيئة وإلى مذاهبهم

المنحرفة الباطلة، ودخلت عقائدهم إلى كتب التفسير انطلاقاً من هذا الباب وهو باب التفسير بالرأي، وهذا الرأي مذموم لا يقبل وصاحبه على خطر عظيم إذا لم يتب إلى الله سبحانه وتعالى.

▪ **الثاني وهو المحمود وهو أن يعتمد صاحبه على كتاب الله عز وجل وعلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى ما روي عن الصحابة رضي الله عنهم وعن التابعين والأخذ بلغة العرب والسير على المنهج الصحيح فهذا لا بأس به وهو مقبول إن شاء الله تعالى ولذلك اجتهد الصحابة والتابعون في ذلك.**

***حكم التفسير بالرأي**

لا شك أن حكمه واضح خصوصاً بعد أن بينا أن التفسير بالرأي على نوعين فإن التفسير بمجرد رأي فقط واجتهاد عار عن الأدلة وعن الأخذ عن ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وعن التابعين والسير على مناهجهم فهو لا شك رأي مذموم وتفسير غير صحيح وهو حرام لا يجوز تعاطيه، والله سبحانه وتعالى يقول "ولا تقف ما ليس لك به علم وقال صلى الله عليه وسلم (من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار) _ وفي لفظ _ (من قال برأيه في القرآن فأصاب فقد أخطأ) حتى لو أصاب فهو مخطئ لا بد أن يعتمد على الأدلة وعلى النصوص حتى يكون كلامه صحيحاً،

❖ تخرج السلف عن الكلام في التفسير

تخرج كثير من السلف في تفسير ما ليس لهم علم به فكان "سعيد بن المسيب إذا سئل عن تفسير آية قال إنا لا نقول في القرآن شيئاً" وأيضاً أبو بكر -رضي الله عنه- لما سئل عن الأب في قوله تعالى { **وَأَكْهَنَ وَأَبَا** } قال : "أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم"، لكن هذا الذي قاله أبو بكر هنا روى عنه أنه فسر آيات أخرى، وكذلك سعيد بن المسيب الذي روى عنه أنه كان يتخرج روى عنه أنه فسر آيات أخرى، إذا يحمل عليه ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - كما سيأتي في حلقة قادمة بإذن الله أنه ما توقفوا عنه ليس لهم به علم وما قالوه، قالوه بعلم وأدوا الأمانة التي حملوها بذلك.

السلف تخرجوا من القول في التفسير ولم يخوضوا في ما لا علم لهم به ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في أواخر مقدمته وهي مقدمة نافعة في أصول التفسير وهي موجودة في المجلد الثالث عشر من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية وهي مطبوعة وقد طبعت طبعات مستقلة ولها شروح كشرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى وغيره من الشروح التي أقيمت على هذه المقدمة النافعة التي لا يستغني عنها طالب العلم **فيقول شيخ الإسلام** "إن هذه الآثار وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم من الكلام في التفسير بما لا علم لهم به" الشيء الذي لا يعلمونه توقفوا ولم يقولوا شيئاً فلا ينبغي للإنسان أن يقول شيئاً في القرآن والله سبحانه وتعالى يقول { **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** } وقال صلى الله عليه وسلم (من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار)

فنسأل الله العافية فهو أمر خطير وعظيم لا يجوز للإنسان أن يتجرأ عليه، يقول: "أما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً" فلا حرج عليه وقد روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير وما أجمل ما قال شيخ الإسلام حين يقول "لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه"، وهذا واجب علينا نحن أيضاً العلماء والدعاة وطلبة العلم يجب أن يتقوا الله جل وعلا فلا يجوز أن يقولوا في القرآن أو غيره إلا بما يعلمون والذي لا يعلمونه يقولون الله أعلم ولقد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى "من أخطأ الله أعلم أصيبت مقاتله" وروي عن غيره أن الله أعلم نصف العلم، الواجب أن الإنسان يطلب العلم ويطلع ويراجع المسألة ويناقشها، لكن أن يتكلم في كل شيء هذا غير صحيح، وبخاصة في جنب كلام الله تبارك وتعالى.

ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى "وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً بل مبتدعاً لأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم"، فالتفسير علم عظيم وشرف وبركة على أصحابه وعلى أهله والله سبحانه وتعالى يقول {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ}.

وأذكر في هذا المقام كلاماً نفيساً للإمام فخر الدين الرازي ويعتبر تفسيره بالرأي لكن المهم هذه الكلمة والحكمة ضالة المؤمن متى ما وجدها فهو أحق بها يقول رحمه الله: "لقد عانيت علوماً كثيرة وألفت في فنون متنوعة، ومعروف الإمام الرازي محمد بن عمر الرازي المتوفي سنة ٦٠٦ للهجرة كان إمام زمانه وكان إماماً في علوم كثيرة، فما وجدت بركة عادت علي مثل خدمة القرآن الكريم" فما في شك خدمة القرآن الكريم والعناية بتفسيره والعلم بمعانيه بركة وخير ونعمة في الدارين لكن كما قلت على المنهج الصحيح منهج السلف رحمهم الله تعالى، ومن انحرف أو زل لسانه لا شك أنه يتحمل أخطاءه وأخطاء من يأتون بعده ممن يتأثرون به فيجب الحذر وعدم التعجل بمثل هذا الأمر.

والحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى في كتاب "فضائل القرآن" نقل جملة كثيرة عن السلف في تخرجهم عن تفسير القرآن وأنهم كانوا يقولون إذا كان كلام بيننا نتحدث بما نشاء ولكن إذا جاء القرآن نقف، وكان بعضهم يقرأ ويحدث فإذا قيل له تكلم في القرآن توقف وسكت فكانوا يتخرجون ويعظمون كلام الله تبارك وتعالى بخلاف من سبقنا ومن في زماننا هذا ممن يتعجلون في تفسير القرآن الكريم ويحملونه على غير معانيه الصحيحة، وبخاصة الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم فالتعجل فيه والتعسف في حمل الآيات على بعض الظواهر الموجودة أو بعض المصنوعات الحديثة من أجل أن نقول أن القرآن سبق كذا وكذا فهذا لا يجوز، لأن هذا الأمر قد يكون غير صحيح قد تأتي نظرية أو شيء فتفسد هذه النظرية، لكن الشيء الواقع والصحيح والذي لا نقاش فيه هذا مقبول والله الحمد ونحن لا ندلل على صحة القرآن وعلى واقعيته لا والله فالقرآن أعز وأشرف وأكرم فهو كلام الله تبارك وتعالى ولكن أن يأتي أحد ويهذي بما يعرف وبما

لا يعرف، أذكر أحداً فسر قوله تعالى {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا} فسرهما بأنها الدراجات النارية فقال أنها تسرع في المشي وتقذح الشرر أيضاً، فهذا الكلام سيء وقبيح فالعاديات المقصود بها : "الخيول" التي تغزو التي تنطلق وتسرع هذا هو الصحيح ولكن تحمل عليها دراجات نارية أو كلاماً آخر فهذا مما ينبغي حقيقة أن يطهر عنه كلام الله تبارك وتعالى وأن نتمهل وأن نتتد وأن لا نتعجل وأن نسير على منهج سلفنا الصالح رحمه الله تعالى،